التواصل اللغوي بين دول الخليج العربية والعمالة الوافدة
(التأثير والتأثر) دولة الكويت أنموذجا

أ. د. فهد سالم خليل الراشد

باحث لغوي من دولة الكويت

Abstract

Linguistic communication between Gulf Arab States
and the expat labor.

This research is divided into two parts. The first part explains the effect of some foreign words on the Gulf Arab dialect arabic originate worded, due to the development of the civilization, the architect and the technology after the discovery of the petroleum, that which constrains us to talk about "the borrowing of languages in the past".

The last part is talking about the effect of the foreign dialects arabic originate worded on the expatriate labor, that which no doubt helped to achieve the principle of coexistence, through the linguistic fusion, under the tolerance of Islam and its justice and its equality among all the people .

- إشكالية البحث

اقترح أحد الباحثين المتخصصين في شؤون اللغة العربية؛[1] ضرورة إضافة بند في عقد الاتفاق بين دول الخليج العربية والعمالة الوافدة إليها – ولاسيما – العمالة الأسيوية. وهو: إجادة اللغة العربية، مفسرا ذلك بكثرة العمالة الوافدة التي طغت على السكان الأصليين، وأن هذه الدول– أعني دول الخليج العربية– أصبحت الآن الوجهة الرئيسة للباحثين والدارسين والسائحين والمستثمرين وغيرهم؛ فهناك صعوبة في التواصل اللغوي بين من يأتي من دول المشرق العربي وبين هذه العمالة، ومن يأتي من دول المغرب العربي وبين هذه العمالة.

كما أخذ بعض الباحثين على دول الخليج العربية كثرة اقتراضهم من الألفاظ الأجنبية غير العربية التي باتت واضحة في لهجتهم المحلية المحكية [2].

لذا؛ رأيت وأنا أحد أبناء دول الخليج العربي أن آخذ هذا المقترح وهذا المأخذ بعين الاعتبار بدراسة موضوعية ما أمكن، وأناقش الاقتراض اللغوي والتلاقح اللغوي.

-مقدمة

لقد شرف الله سبحانه وتعالى شبه الجزيرة العربية حينما أنزل الدين الإسلامي خاتم الأديان في حاضرتهم، واختار رجلا منهم ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين"(3).

وازداد هذا الشرف شأنا ورفعة حينما جعل المولى العلي القدير القرآن الكريم عربيا بلسان قبائل شبه الجزيرة العربية، قال تعالى: " إنا جعلناه قرآنا عربيا. .."(4).

ولا يعنى هذا أن يكونوا شعب الله المختار وليس لهم الأفضلية على غيرهم من شعوب العالم، قال تعالى:

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"(5).

ويقول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وأباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"(6).

إن هذا الدين الخاتم لكل الأديان نزل للناس كافة، قال تعالى: "وما أرسلناك إلا كافة للناس..."(7).

وجب عليهم أن ينشروه ويقدموه للناس باللطف واللين وبالتراحم فيما بينهم، قال تعالى: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا

من حولك..."[8]. والفظاظة هنا بالقول، وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وتطاوعا ولا تختلفا"[9].

ولطالما قد ارتبط الدين الإسلامي باللغة العربية كما مرت بنا الآيات الكريمات؛ فإن كل ما ينطبق على هذا الدين من سلوك ينطبق على اللغة.

وفق هذه المعادلة سوف أضرب مثالا بسيطا: لدينا شخصان؛ الأول سمع أذان الفجر فقام وتوضأ وذهب إلى المسجد ليصلي جماعة ويكسب سبعا وعشرين درجة والحسنة بعشرة أمثالها، والآخر سمع أذان الفجر فقام وتوضأ وصلى في بيته وحرم نفسه من سبع وعشرين درجة. والسؤال هنا: هل الشخص الثاني الذي صلى في بيته قد ارتكب معصية يحاسب عليها عند الله سبحانه وتعالى؟ أم أن هناك أفضلية للأول الذي صلى في المسجد مع الجماعة وكسب سبعا وعشرين درجة؟!

ولو قابلنا ذلك لغويا فسوف نجد الذي صلى في المسجد يجمع (بحث) على (بحوث) و(مشكلة) على (مشكلات) ويقول (غير الكويتي) أو (غير الجزائري) ويستخدم (الآتية) مثل (الأهداف الآتية)، ويستخدم (الرئيسة)، ويكتب همزة (شؤون ومسؤول) على الواو بدلا من كتابتها على النبرة (شئون ومسئول)، ويرسم (مئة) هكذا وفقا للقاعدة دون ألف تسبقها (مائة)، ويكتب همزة (هيأة) على الألف وفقا للقاعدة.

وأما من آثر الصلاة في البيت على المسجد وحرم نفسه من سبع وعشرين درجة؛ فيعادله في اللغة الذي يجمع (بحث) على (أبحاث) و(مشكلة) على (مشاكل) ويستعمل (الغير كويتي) أو (الغير جزائري) ويستخدم (التالية) مثل (الأهداف التالية)، ويستخدم لفظة (الرئيسية) ويكتب همزة (شئون ومسئول) على نبرة، ويرسم (مائة) هكذا خلافا للقاعدة، ويكتب همزة (هيئة) على نبرة مثلما هو شائع مخالفا بذلك قاعدة الهمزة. وهو بذلك لم يرتكب خطأ لغويا

مثلما الذي صلى الفرض في بيته فهو لم يرتكب معصية. إلا أن هذا اللغوي هو أقل مستوى من اللغوي الذي صلى فرضه مع الجماعة في المسجد.

إذن لماذا لم نعدّ المستوى الأقل خطأ لغويا، أولا وقبل كل شيء فإن كل ما ينطبق على الدين من سلوك ينطبق على اللغة. والدين يسر والله عز وجل يقول: " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها. .. " (10).

ثانيا: هب أننا خطــّأنا المستوي الأقل، سوف نجد أن المجامع اللغوية في كل مرة تصدر قرارات تجيز مثل هذا المستوى الأقل، ولا تجد له مسوغا بل لديها مبرر وهو كثرة الاستعمال أو استخدام شائع، مثلما أجاز مجمع اللغة في القاهرة دخول (ال) التعريف على (غير)، (الغير كويتي) أو (الغير جزائري) – على سبيل المثال – الذي كنا ندرّسه ردحا من الزمان على أنه لا يجوز دخول (ال) التعريف على (غير) على اعتبار أنها نكرة مبهمة ومعرفة بالإضافة، وأجاز مجمع اللغة في القاهرة أيضا استخدام (الرئيسية) بياء وأجاز رسم (مائة) وأجازة كتابة (هيئة) وهلم جرا. وكل ذلك كنا قد درّسناه على أنه من الأخطاء اللغوية الشائعة، ولا أدري ما موقفنا الآن أمام طلابنا بعد هذه الرخص في الاستعمال من المجامع اللغوية؟!

-موضوع البحث

من المعلوم لدينا في إشكالية البحث كما مر بنا أنه بدأ باللغة العربية الهجينة والتراكيب المشوّهة للجملة العربية المستخدم من قبل العمالة الوافدة لدول الخليج العربية، ثم تأثر دول الخليج بالمفردات الأجنبية.

إلا أنني سوف أغير الترتيب وأجعل تأثر دول الخليج العربي بالمفردات الأجنبية، وبهذا سوف أتناول الاقتراض في اللغة، ثم بعد ذلك سأتناول تأثير دول الخليج العربية في العمالة الوافدة – لاسيما– الأسيوية في عملية التواصل اللغوي الذي أطلقت عليه (التلاقح اللغوي).

- التأثر: الاقتراض

لا أريد أن أقف كثيرا عند الاقتراض اللغوي وأنقل من هنا وهناك، فعهدي بالمتلقي قد قرأ كل ذلك أو شيئا من ذلك، لذا سوف أختصر الحديث عن اقتراض قريش من اللهجات العربية الأخرى، لسبب واحد وهو: هناك ما يميز لهجة قريش عن سائر اللهجات العربية وهذا ما ذكره السيوطي في المزهر: "كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصارت أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستقبح اللغات ومستبشع الألفاظ كالكشكشة والكسكسة والشنشنة " (11).

ما معنى (فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به) إذن هناك ألفاظ عربية تستخدمها القبائل العربية أفضل من الألفاظ التي تستخدمها قريش، وإذا أخذت قريش لفظة عربية من لهجات القبائل العربية؛ فأين بديلها من لهجة قريش التي استغنت عنها؟

وإذا انتقلنا إلى الشعر العربي أيضا نجد هناك اقتراضا واضحا، وقد أوعز أحد الباحثين ذلك قائلا "كأن للشاعر لغة خاصة لا تتصل ضرورة بقبيلته، وهو يأتي كل لغة يكون له فيها سعة" [12] بعد أن استشهد ببعض أبيات من الشعر، حيث يقول " نسب البغدادي حذف النون في الموصول إلى بني الحارث بن كعب وبعض ربيعة ومنه قول الأخطل:

هم اللتا لو ولدت تميم لقيل فخر لهم صميم

وقوله أيضا:

أبني كليب إن عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وقول أمية بن الأسكر الكناني:

قومي اللذو بعكاظ طيروا شررا من روس قومك ضربا بالمصاقيل

فأنت ترى أن الأخطل التغلبي قد استعمل ما هو معروف في لغة هذيل، وأكثر من هذا ما جاء في قول الفرزدق المتقدم، وهو من تميم، وهو استعماله (اللذا) التي هي من خصائص لغة هذيل " [13].

وحديثا الرسول صلى الله عليه وسلم الشريفان واضحان في هذا السياق حيث يقول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام: "أقرأني جبريل على حرف واحد، فراجعته، فلم أزل استزيده ويزيدني حتى أنهى إلى سبعة أحرف" [14]، وهذا ما يفسر استخدام الضمير المنفصل للمتكلم (أنا)؛ فالعراقي يقول (آني) والكويتي يقول (آنا) والمصري يقول (أنه) والجزائري يقول (أنايا).

أما الحديث الشريف الآخر حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه"[15]. ونحن نرى اليوم في اللهجات المحلية للدول العربية سواء أكان ذلك في مشرقها أم في مغربها، هناك استعارات واضحة الكويتي أدخل في كلامه كلمات مصرية وعراقية -على سبيل المثال- والجزائري أدخل في كلامه كلمات لبنانية أو سورية – على سبيل المثال- والعكس صحيح، وهذا ينطبق على كل الدول العربية؛ فقد أصبحت الكلمات متبادلة بين دول العالم العربي وخير دليل على هذا مشاهدتك للقنوات الفضائية، فلم نعد نميز إن كان هذا الشخص مصريا أم جزائريا، ناهيك عن التزاوج والمصاهرة. قال ابن جني: "اللغات على اختلافها كلها حجة"، وقال أيضا: "وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها"[16].

فالاستعارة أو الاقتراض ناتج عن عملية التأثر، والمصالح المشتركة، وقد كان هذا سابقا في ظل وجود دولتين اثنتين فقط منافستين للقبائل العربية، هما الفرس والروم، وهناك شواهد كثيرة على أن بعض القبائل العربية قد تأثرت بها واقترضت منها بعض الألفاظ غير العربية – لاسيما – الحيرة وملوكها

التابعة ولاء للفرس لفترة من الزمن، لذلك حينما تم تقعيد اللغة لم يؤخذ من القبائل المحاذية للفرس أو الروم.

في العصر الحديث يرى الدكتور إبراهيم أنيس "أن اللهجات العربية الحديثة قد تطورت في بيئاتها المختلفة تطورات مستقلة، لما أحاط بها من ظروف اجتماعية مختلفة في كل بيئة من تلك البيئات، ولما طرأ عليها بعد الفتح العربي من ظروف سياسية اختلفت أيضا في تلك البيئات، فهناك الفارسية، وأخرى تركية، وثالثة أوروبية (فرنسية وإيطالية بل وإنجليزية أيضا)، إذا تذكرنا كل هذا عرفنا لماذا اختلفت اللهجات العربية الحديثة في بيئاتها، ورأينا هذا الاختلاف أمرا طبيعيا " [17].

لقد توصلت أخيرا إلى مصطلح لا أدري إن سبقني أحد على استعماله، ولكن يتجه ظني أنه وليد اللحظة وهو (أسلمة الألفاظ الأجنبية)؛ فمثلما الأميركي المسلم والروسي المسلم والهندي المسلم أو أي أجنبي غير عربي مسلم هو أخي في الإسلام، كذلك اللفظة الأجنبية هي أخت اللفظة العربية بالقرآن، ألم نسمع قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا كافة للناس" وقوله تعالى: "إنا جعلناه قرآنا عربيا". وعجبا ممن يدعون بأنه لا توجد ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم، كيف والقرآن الكريم يقصّ قصص الأولين من غير العرب بمسمياتهم كأسماء أعجمية غير عربية، ولكنه يقصّها بلغة عربية محافظا على أعجمية هذه المسميات.

-نماذج من أسلمة الألفاظ الأجنبية

إن خير دليل على هذه الأسلمة، ما فعلته الدول العربية في شقيها سواء في المغرب العربي أو في المشرق العربي وعلى وجه الخصوص دول الخليج العربية، عندما قامت بأسلمة الألفاظ الأجنبية التي دخلت إلى المجتمعات العربية وأصبحت في ثنيا لغة التواصل المحكية في الشارع وخلافه، وليست المكتوبة فاستعمرتها اللغة العربية، مثلما استعمرت اللغة الأسبانية كثيرا من

مفردات اللغة العربية، وكذلك استعمرت اللغة الفرنسية كثيرا من مفردات اللغة العربية، وغيرها الكثير من اللغات الأجنبية التي تجد بها مفردات عربية، فنجد العالم العربي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم أدخل مع لغته العربية اللغة الإنجليزية، ونعني بذلك دول الخليج العربي، وقسم أدخل مع لغته العربية اللغة الفرنسية، ونعني بذلك دول شمال إفريقيا، ودول أدخلت مع لغتها العربية اللغة الفرنسية والإنجليزية من مثل مصر ولبنان، وهذا لا يعني بأنه لا توجد لغات أخرى محكية من غير الإنجليزي والفرنسية، بل أن هناك ألفاظا فارسية وهندية وإسبانية وتركية وغيرها، ولكنني ركزت على اللغة الإنجليزية والفرنسية لأنها لغات حيّة متقدمة قد وفرت فرصا للعمل.

ومن المفردات الأجنبية التي دخلت على اللغة العربية المحكية والمتداولة يوميا كلغة شارع وسوق، على سبيل المثال في دول الخليج (أوكي) بمعنى تم. مسميات السيارة ممن مثل (السكان: مقود السيارة، الكير: عمود الغيارات، الكلش: مفتاح الغيارات، الراديتر: مبرد الماء، الطبلوم: صدر السيارة من الداخل، السبير: عجلة الاحتياط)،

ومن الكلمات الفرنسية المستخدمة في اللغة المحكية في شمال إفريقيا (باسكو) وتعني: لأن، (فوتي): انتخاب، وقد أدخلوا عليها الضمائر العربية من مثل: (أنتم فوتيتوا)، أنا (فوتيت). (ديرونجي): إزعاج، وقد أدخلوا عليها الضمائر العربية من مثل: (ماديرونجيني ما ديرونجيك). (ديماري): يتحرك، (أنا ديماريت)

وفي الحلويات يقولون (بيتي فور) وهي بالفرنسية (صغائر الفرن)، وفي مصر يقولون عن الغطاء (كوفيرتا) وهي مأخوذة من الفرنسية. فلا يسعنا في هذا المقام بسط جميع الألفاظ الأجنبية التي استعمرتها اللغة العربية في لغة محكية سواء في الشارع أو في السوق أو في الحياة اليومية. بدليل أن الفرنسي يرفض استخدام جمع المؤنث السالم في لفظة (براج) وتعني نقطة

التفتيش، فالجزائري في لهجته المحكية اليومية يجمعها على (براجات). وكذلك الأميركي سوف يرفض (ترايك أو ليسنك) فـــ (تراي) تعني (اختبار) وقد لصقت هذه اللفظة عند الكويتيين بـــاختبار قيادة السيارة، وأدخلوا عليها الضمائر العربية مثل كاف الخطاب، وكذلك (ليسن) وهي تعني (الإجازة)، وقد ارتبطت هذه اللفظة باللهجة الكويتية برخصة السوق أو القيادة للسيارات، وقد أدخلوا عليها الضمائر العربية، مثل كاف الخطاب. وهذه ما نعنيه بأسلمة الألفاظ الأجنبية.

تقول الباحثة الكويتية أستاذة علم اللغة الدكتورة / ليلى السبعان: "الاقتراض بنوعيه: الاقتراض من اللغات الأجنبية، أو الاقتراض من اللهجات المحيطة، يعتبر وسيلة هامة من وسائل نمو الثروة اللغوية... كان للاقتراض من اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والتركية والفارسية، أكبر الأثر في إثراء الترادف في اللهجة... إن روح التطور تدفع إلى الميل لاقتراض وسائل التعبير التي تدل على الأشياء المنقولة بدلالاتها، أما بالاقتراض أو بالترجمة. والألفاظ المستعارة، أما أن تكون دعت لها الضرورة الملحة لتميز بيئتها عن غير من البيئات... لقد أخذت اللهجة الكويتية من اللغات الإنجليزية والفرنسية ألفاظا ومدلولات عديدة، كما كانت تأخذ بالماضي عن الفارسية والتركية والهندية، بسبب عامل التجارة والأسفار"[18]. وعرضت لنا بعض الكلمات من مثل:

- Tea اقترضت من الصينية
- Coffee اقترضت من اللغة العربية
- Chocogate من اللغة المكسيكية، حيث تكثر زراعة الكاكاو في المكسيك
- ومثل كلمة Wine التي اقتبستها كل اللغات الأوروبية من اللاتينية"[19].

- التأثير

بعدما انتهينا بـــ (خير الكلام ما قل ودل) من عملية التأثر والاقتراض وهو الشق الأول من هذا البحث، نتناول الآن العكس وهو عملية التأثير، ونعني به تأثير اللغة العربية على اللغات الأخرى، ولعل المكتبات الخاصة والعامة تعج بكثرة البحوث المقدمة في هذا الجانب، وقدمت استقراءات قاطعة وإحصائيات نهائية، ولعلي أرى بأنه لا يوجد استقراء كامل في اللغة أية لغة كانت لماذا؟ لأن اللفظة من وجهة نظري تنشأ مثلما ينشأ الإنسان منذ بداية تكوينه، فهناك اللفظة السوية وهناك اللفظة المعاقة وهناك اللفظة الخديج وهناك اللفظة الكاملة، وكذلك تتعرض اللفظة مثلما يتعرض له الإنسان، فقد تصاب بعاهة وقد تصاب بحالة نفسية فتنزوي، وقد تتطور وقد تموت، وقد ترتقي وقد تهمش وهكذا، كذلك من وجهة نظري لا توجد إحصائيات نهائية لأية لغة. لماذا؟ لأن هناك أعدادا لا يمكن حصرها من المخطوطات التي لم تر النور بعد، مليئة بألفاظ لم تصلنا إلى يومنا هذا، ناهيك عن المخطوطات التي دمرت أو تلفت أو ضاعت أو لم نصل إليها إلى الآن أو حبيسة الجوامع والكنائس والزوايا وغيرها، ومن الممكن أن تصلنا بواسطة حملة المحافظة عن التراث والتنقيب عنه.

وسوف أحصر حديثي على العمالة الوافدة لدول الخليج العربي، وعلى وجه الخصوص العمالة الوافدة على دولة الكويت.

بداية نحن أمام عمالة وافدة تجاهد وتكافح من أجل تأمين لقمة عيشها بوظائف دنيا من (الخدمة في البيوت، والسائق، والمزارع، والعامل في الحفريات، والعتال للأغراض وخلافه)، وهذه الوظائف أو المهن الشريف لا تغض ولا تحط من مكانة المرء، كذلك علينا أن ننظر إلى عملية الحاجة المتبادلة من كلا الطرفين، هو يقدم خدمة بدنية أو كتابية نحن بحاجة إليها ونحن نقدم له الأجر مقابل هذه الخدمة، فمن منا اليوم ونحن في وظائف عليا

يرضى أن يخدم أو يعمل بدون مقابل أو عائد مادي؟! إن مجرد أن يتأخر راتب أي واحد منا نبدأ التذمر والتضجر والشكوى، لمجرد التأخير فقط لعدة أيام ولا أقول أشهر، فما بالك بهذا العامل البسيط الذي جاء ليخدمنا ويسهر على راحتنا ويوفر لنا رغد العيش بهذه الخدمة، من حقه علينا أولا وقبل كل شيء احترامه واحترام آدميته وموروثه واحترام لغته. ولغته مكون أساسي للهويته، ثانيا المحافظة على حقوقه المعنوية والمادية، إن الفرق بين لغتنا العربية واللغة الإنجليزية – مثلا – ارتباط اللغة الإنجليزية بسوق العمل فأصبحت بذلك اللغة العالمية الحيــّة الأولى، ولكن ما بالك إذا انتقل سوق العمل من بيئة اللغة الإنجليزية – مثلا – إلى بيئة اللغة الصينية أو اليابانية أو الكورية أو الهندية... إلخ، فهل تجد من يبحث أو يتهافت على اللغة الإنجليزية؟

أما اللغة العربية فهي تتماهى مع كل الحضارات، وتتكيف مع كل لغات العالم، وتظل في عمقها لغة ديننا الإسلامي الحنيف ولغة قرآننا الكريم، فلا تسقط بسقوط الحضارة، ولا تتأثر بسوق عمل.

اليوم نتعلم الإنجليزية كلغة تكنولوجيا ومحافظين على لغتنا العربية كلغة معتقد، وغدا نتعلم أية لغة تمتطي صهوة الحضارة، ومتمسكين بلغتنا العربية كلغة مقدسة، فالحضارات واحدة ترتفع والأخرى تسقط.

إذن ما يتعلم قسرا وفق شرط أو بند أو مادة في عقد العمل سوف ينسى بمجرد ما يترك العامل هذا العمل ويعود إلى بلده، ولكن ما يتعلم بالمعاملة الحسنة وبالرفق واللين والاحترام يظل عالقا في الذهن، فكم معلم نسيه طلابه ولم يذكروه لسوء معاملته لهم أثناء الدرس، وكم معلم يقف له طلابه بكل احترام وتبجيل أينما وجد وبعد سنوات من ترك مقاعد الدرس لحسن معاملته لهم، إن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يسلمه راية الحرب، ما يعني أنه سوف يقاتل بالسيف

ولكن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام قال له وهو يسلمه راية الحرب " لئن يهدي الله علي يديك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم".

لذا؛ لو عرضنا ما قالته إحدى الباحثات ناقدة بذلك المجتمع الخليجي حيث تقول" لقد صار لكل طفل خليجي تقريبا خادمة أجنبية... لينشأ على ثقافة ولغة ليس فيها أدنى انتماء عربي"، ثم عرضت لنا بعض الألفاظ المستخدمة من قبل الخدم وهي:

- " جيب موبايل مال أنا.
- ماما أنا معلوم أنت.
- زين ماما.
- واحدة ساعة.
- هذه حرمة يخلي تلفون داخل سيارة."[20].

هذا كلام خطير جدا؛ فالانتماء لا تزيله أو تمحوه خادمة بسيطة جاءت من أجل لقمة العيش، والله سبحانه وتعالى موزع الأرزاق وما دول الخليج العربية إلا سببا جعله الله لتوسعة الرقعة الثقافية للدين الإسلامي، ثم إن جيل الأربعينيات والخمسينيات والستينيات لم ينشأ على خادمة في البيت، ولعل جيل السبعينيات وما فوق هو من نشأ على خادمة في البيت ومن المبالغ به أن يكون لكل طفل خادمة، ولكن لو سلمنا جدا أن لكل طفل خادمة كما ادعته الباحثة، هل الأجيال هذه تأثرت بالخدم وقل انتماؤها أو سمعنا منها لغة غير لهجتهم؟! أبدا فالكويتي معتز بلهجته والسعودي كذلك والبحريني كذلك والقطري أيضا والإماراتي على وجه الخصوص تميز في المحافظة على موروثه والعماني محافظا على لهجته ولم يتأثروا بلهجة الخادمة الهجينة أو تراكيبها المشوهة، لسبب بسيط جدا وهو الطفل الخليجي بعد ولادته بسنة ينتقل إلى الحضانة وفق معايير دولية ثم بعد أن يتم ثلاث سنوات ينتقل إلى رياض الأطفال وبعد أن يتم ست سنوات ينتقل إلى المرحلة الابتدائية من

التعليم الأساس، وبفضل الله عز وجل هذه المراحل الثلاث تم خلجنتها على سبيل المثال في دولة الكويت تم تكويت المربين والعاملين والمعلمين في هذه المراحل الثلاث، وقس على ذلك بقية دول الخليج العربية. مما حافظ على الهوية وحقق المواطنة وعزز الانتماء.

أما فيما يتعلق بالاستعمالات التي ذكرتها الباحثة على لسان الخدم، فهذه الاستعمالات التي تأثرت بها العمالة الوافدة بالمجتمعات الخليجية، نحن نعدها مكسبا للغة العربية، لاحظ في هذه الجمل القصيرة كم كلمة أصلها عربي تعلمتها الخادمة الأسيوية فأصبحت مؤهلة لقراءة القرآن الكريم وفهم تعاليم الدين الإسلامي رويدا رويدا (جيب، مال، أنا، ماما، معلوم، أنت، زين، واحدة، ساعة، هذه، حرمة، يخلي، داخل، سيارة) وإن كانت تراكيب هجينة ومخالفة لنسق الجملة العربية، إلا أن هذا كان واردا أيضا في القبائل العربية، فبنو تميم يستخدمون الصيغة العامية (مديون) بدلا من (مدين) والقبائل الحجازية لديها تسهيل في الهمزة، وبنو أسد وبنو تميم يميلون للإمالة، وحتى في صفات الأصوات التي يعيبها بعض الباحثين على لسان العمالة الوافدة حينما يتحدثون باللغة العربية، كانت عند العرب أيضا، يقول الدكتور / إبراهيم أنيس "أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها، وكيفية صدورها، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى، هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان. فيروى لنا مثلا أن قبيلة تميم كانوا يقولون في "فزت"، "فزد"، كما كانوا ينطقون بالهمزة عينا. كما يروى أن "الأجلح" وهو الأصلع ينطق بها "الأجله" عند بني سعد" [21].

"روي أن حاتما قد أسر (في عنزة)، فقالت له امرأة يوما: (قم فاصفد لنا هذه الناقة)...فقام حاتم إلى الناقة فعقرها... ثم قال له النسوة: (إنما قلنا لك: افصدها)، قال: (هذا فزدي أنه) يعني فصدي أنا، وهي لغة طائية[22].

والملاحظ هنا أنه لم يقل (لقد فزدتها أو لقد فصدتها) تركيبا نسقيا ردا على السؤال.

وقد سمعنا ونحن في السودان ينطقون العدد (تسعة) بالزاي (تزعة)، وقد جاء في كتاب سيبويه في الحديث عن اجتماع الصاد مع الدال "سمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة، كما جعلوا الإطباق ذاهبا في الإدغام، وذلك قولك في:

- التصدير: التزدير
- الفصد: الفزد
- أصدرت: أزدرت " [23].

فالغاية ليست النقد اللاذع الذي يؤدي إلى النفور، إنما الغاية التآخي والتآلف يقول أحد الباحثين " والذي أراه أن الإسلام لما ألف بين قلوب الناس جميعا سمح للعامة أن يقرأوا القرآن ببعض الصفات التي لم يكن في مقدورهم غيرها، فالقرآن وإن كان قد نزل بلغة أدبية مشتركة ولهجة واحدة هي لهجة قريش، إلا أنه قد أبيحت قراءته ببعض تلك الصفات تيسيرا على عامة العرب"[24].

ونحن في الكويت في لهجتنا المحلية نقلب القاف غين مثل (قلم) ننطقها (غلم) ومرات العكس نقول (قير) ونعني (غير)، كذلك في مصر ينطقون (الذي) بالزاي (الزي)، ولا تخلو لهجة دولة في يومنا الحاضر من تغيير صوت الحروف، وفي الجزائر (ثم) ينطقونها تم وتغيير مخارجها.

إذا كانت هذه السماحة والإجازة موجود أصلا في القرآن الكريم دستورنا السماوي، ومصدر تشريعنا، فما بالنا باللهجات المحلية، لماذا هذا التعصب الذي يصل في نظري إلى (الإرهاب اللغوي).

مرت على دول الخليج العربية سنوات عجاف ومعيشة ضنك وحياة صعبة للغاية، ذاقوا فيها الأمرين في تحصيل لقمة العيش، ولكنهم كانوا صبورين

مكافحين حامدين الله عز وجل في السراء والضراء، جبلوا على المحبة والتعاون والإخاء وتقاسم لقمة العيش على شحها وندرتها، وعن الكويت تقول الدكتورة الكويتية ليلى السبعان "عاش الكويتيون الأوائل عيشة كفاح وعمل معتمدين على البحر والتجارة التي تعتبر منذ البداية عاملا مهما في جلب السكان، ثم في جلب كثير من ألفاظ الحضارة من كل حدب وصوب، وكانت سفنهم تحمل تمور البصرة إلى شواطئ الهند وسواحل أفريقيا وتعود محملة بالتوابل والحرير والبخور والأخشاب"[25].

وحين أنعم الله عليهم بنعمة البترول شاركوا العالم بأسره في هذه النعمة – ولاسيما – الدول العربية والإسلامية، فقضية مثل قضية فلسطين والعرب، كانت تموت لولا فضل الله سبحانه وتعالى ثم مال الخليج الداعم لها بكل قوة وأخص بالذكر ما تقدمه دولة الكويت إلى يومنا هذا للقضية الفلسطينية وقضية الأمة العربية والإسلامية. أضف إلى ذلك هذه العمالة التي تقدر بالملايين من البشر وعلى رأسهم العمالة الأسيوية التي تدخل الإسلام يوميا بفضل الله أولا وآخرا ثم بفضل دول الخليج العربية، لما لاقته من حسن معاملة، فلا يغرنك بعض الأعمال الفردية التي تعد على أصابع اليد من المعاملة السيئة، مقابل هذه الملايين المتمسكة بدول الخليج العربية، وهذا ما استرسلت به الدكتور ليلى السبعان قائلة " من النادر أن نجد بلدا نما سكانه بالسرعة والحجم الذي شهدته الكويت، فالتحول الذي ادخله اكتشاف النفط كان جذريا، ولم يقتصر على جانب واحد، بل تعداه إلى جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، مما أدى إلى تدفق الأيدي العاملة من خارج حدود الدولة"[26].

-الخاتمة

أود أن أختم بحثي الصغير والمتواضع بما شهدته الجزائر في السنوات الأخيرة من طفرة عمرانية كبيرة، خاصة على مستوى الجسور والطرقات،

وكان التعاقد مع عدة شركات متنوعة مثل الشركة الألمانية والصينية والبرازيلية والبلجيكية وغيرها، ومما يثلج الصدر وتقر العين به ويسعد النفس، أنك حينما تتجول في الشارع الجزائري وترى بعض الجاليات الأجنبية من البنائين وغيرهم على سبيل المثال أحد أفراد الجالية الصينية الصديقة يقول لك (صحة) وهي من معاني (شكرا) باللهجة الجزائرية، مثلما يقول الكويتي (أشلونك) والمصري (أزيك) والسوري (كيفاك) واللبناني (مرحبا) والجزائري (وشراك) وكلها ألفاظ تحمل معنى الترحيب.

كذلك نرى هذا الصيني يقول لك (ماكنش) أي لا يوجد (ما كان شيء)، لقد نزلوا إلى الشارع الجزائري وانصهروا معه بكل أريحية وتعلموا كثيرا من مفردات اللهجة الجزائرية المحكية، وهذا التأثير بتعلم اللغة العربية لم يكن بندا أو شرطا في عقد الاتفاق، بل كان حبا وراحة نفسية لما لمسه هذا العامل البسيط من طيبة أهل الجزائر ومساعدتهم له، فأية لغة سوف يتعلمها المرء قسرا سوف تذهب وتزول وتتلاشى مع انتهاء عمله في البلد، أما إذا تعلمها بحب ورغبة نتيجة تعامل أهل هذه اللغة معه بأخلاق عالية وتواضع جم؛ فسوف يحتفظ بها ما حيي على وجه الأرض.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا، إذا اقتضى " رواه البخاري

-الإحالات والمصادر

(1) هو الأستاذ الدكتور صالح بلعيد، مدير مخبر الممارسات اللغوية في جامعة مولود معمري بتيزي وزو، في مداخلة ألقاها في الملتقى الدولي حول الاستثمار في اللغة العربية، الذي أقامه مختبر الدراسات اللغوية في جامعة الأخوة منتوري – قسنطينة يومي (15 و16 نوفمبر 2015).

(2) الباحثة بثينة الخالدي، الاستثمار اللغوي: دولة الإمارات العربية المتحدة نموذجا،، مجلة الدراسات اللغوي، محاضرات الملتقى الدولي (الاستثمار في اللغة – واقع وآفاق يومي 15 و16 نوفمبر 2015، عدد خاص، جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة، كلية الآداب واللغات، مختبر الدراسات اللغوية، العدد 11 – سنة 1437 هـ، 2015.

(3) سورة الجمعة: 2.

(4) سورة الزخرف: 3.

(5) سورة الحجرات: 13.
(6) رواه أحمد بن حنبل في باقي مسند الأنصار ورقمه 22391.
(7) سورة سبأ: 28.
(8) سورة آل عمران: 159،
(9) رواه البخاري / 69.
(10) سورة البقرة: 286.
(11) انظر: المزهر للسيوطي – 1 / 221.
(12) انظر: في اللهجات العربية القديمة، د. إبراهيم السامرائي، ط 1، 1994، دار الحداثة للطباعة والتوزيع، بيروت، ص 14. بعد أن استشهد ببعض أبيات من الشعر، حيث يقول " نسب
(13) انظر: المرجع نفسه.
(14) انظر: صحيح البخاري، ج1، ص 43.
(15) انظر: العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج9، ص 23.
(16) انظر: كتاب " الخصائص لأبي الفتح ابن جني، ت: 392 هـ / تح / محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1379 هـ، 1956 م، ص 2 / 10 و12. وقد نقل ذلك السيوطي في كتابه " الاقتراح في علم أصول النحو " للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: 911، تح / أحمد محمد قاسم، ص 64 / طبعة 1976 م.
(17) انظر: في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ط 8، 1990، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 12
(18) انظر: تطور اللهجة الكويتية – دراسة تحليلية – تأليف / ليلى خلف السبعان، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ط1، 1983، ص 134 و135.
(19) انظر المصدر نفسه، ص 135.
(20) انظر: مجلة الدراسات اللغوي، محاضرات الملتقى الدولي (الاستثمار في اللغة – واقع وآفاق يومي 15 و16 نوفمبر 2015، عدد خاص، جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة، كلية الآداب واللغات، مختبر الدراسات اللغوية، العدد 11 – سنة 1437 هـ، 2015.
(21) انظر: في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ص 17.
(22) انظر: اللهجات العربية والثراء اللغوي، أ. د. أحمد هاشم السامرائي، ط 1، دار دجلة، الأردن، ص 57.
(23) انظر: كتاب سيبويه، 4 / 478.
(24) انظر: اللهجات العربية، د. مجدي إبراهيم محمد، ط 1، 2011، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص 214.
(25) انظر: تطور اللهجة الكويتية ص 20.
(26) المصدر نفسه.